الراهب الكوري مومون: هنالك معابر تستطيع من خلالها الوصول إلى الحقيقة

جميعنا بطريقة أو بأخرى يتمنى أن يُحقق الاتزان والطمأنينة، أن يتفكر مليًا في معنى الحياة، وأن يجعل منها أكثر جمالًا وراحة. نتمنى في أحيانٍ كثيرة أن نكون حلقات وصل ليعم السلام في عالمٍ بات يضج بالفوضى وتملؤه الشكوك والظنون. جميعنا بلا شك نتمنى أن نصل إلى تلك الحالة الذهنية من السلام الداخلي والراحة النفسية ولكن أن أسلك هذا الطريق خلال تجوالي من أجل غاية أخرى هو ما جعل من هذه الحادثة منعطفًا أقبلتُ عليه برحابة صدر.

حوار: آليه نيرير (صحافية فلبينية)
ترجمة: منال الندابة

لقد كانت هذه الصدفة من أجمل المفاجآت خلال رحلتي إلى كوريا الجنوبية مع جمعية الصحفيين الآسيويين برفقة زميلي الصحفي لي سانج كي (مؤسس الجمعية) والمصور الصحفي الباكستاني راؤول إعجاز. ورغم أن رحلتنا كانت مختصرة في ثلاثة أيام إلا أنني لم أحلم في حياتي قط بأن ألتقي بأحد أعظم وأكثر الرهبان البوذيين إجلالاً في كوريا الجنوبية. وقد ظلت ذكرى لحظة تكريمنا في حفل شاي شعائري ترحيبا بنا في معبد ناكسانا في مقاطعة يانج يانج من أكثر الذكريات تشبثابالذاكرة.

إن شعورا بالدهشة المحببة سيجتاحك حين تنظر إلى هذا الرجل الطويل ذي الرأس المحلوق بهيئة الراهب الكثير التأمل والذي بمجرد النظر إليه ستستشعر بمدى عمق السلام والثبات الذي يسكنه وسيعتريك إحساس بأن هنالك غموضًا يكتنف هذا الرجل بردائه الرمادي البسيط. عيناه الثاقبتان من خلف نظارته توحيان بنظرة الأب الرؤوف الذي يبحث عن ابنته بعد أن غابت عن بصره. كانت ابتسامته صادقة ويداه باردتين حين دعانا للدخول إلى المعبد فراراً من الجو البارد حيث أخبرنا بأنه يلقب باسم «مومون» ووعدنا بحكاية لطيفة تُفسر سبب تسميته بذلك.

أخبرنا بأننا قد جئنا في الوقت المناسب حيث كان على

وشك تحضير الشاي، وهو يخبرنا بذلك، عمِل صوته الهادئ كالسحر في إذابة أي شعور بالبرودة كان قد اعترى فريقنا الصغير. كان طقس حفلة الشاي مُذهلاً، فكل حركة خلال الحفل كانت مُباركة ومحسوبة في ذات الوقت وكل مُكوّن قد وُضع في مكانه المخصوص له ويتم استخدامه وخلطه مع بقية المكونات في الوقت المناسب له تمامًا.

إن الشاي كان رائعا بطعم الأعشاب الطبيعية والفواكه وتفوح منه رائحة العشب الطازج الذي يجعلك تسترخي ويبعث بداخلك شعورا بالهدوء والسكينة وأنت تحتسيه. وبينما نحن في ذاك الجو من الاسترخاء والسكينة نهض مومون من مقامه وناول كل واحد منا حبتي طماطم وفراولة طازجتين. وفي تلك اللحظة بالذّات أدركتُ روعة النعمة التي كُنا فيها بمباركة رجل مُقدس واحتوائه لنا، لقد كنت أتذوق حلاوة هذه القدّسيّة وصفاء تلك اللحظات.

حين سألته عن معنى اسمه أجاب علي بابتسامة بسيطة: «العبور بلا معبر» وعرفت لحظتها بأن وراء ابتسامته معنىً أكثر عُمقًا يفسر إجابته.

سرد لنا قصة رحلة تتخللها الكثير من الطرق والمعابر والتي تستطيع الدخول إليها من اتجاهات شتى وكذلك هو حال الخروج منها. وقد قارن قصة هذه الرحلة بتلك التي يخوضها المرء في سبيل تحقيق قلبٍ وروح نقيتين وهي رحلةٌ شاقة وطويلة تشبه على حد قوله معتقداتنا الإيمانية، فباختلاف دياناتنا وطرق تعبدنا إلا أننا جميعًا نصبو إلى ذات الوجهة. وفي المقابل فإن هنالك الكثير من الطرق التي تحيدنا وتشتتنا عن الدرب الصحيح ويبقى التحدي الأعظم هو القدرة على الثبات عليه رغم كثرة المشتتات.

فهو «العبور بلا معبر» الذي يُرشدك أثناء سيرك في رحلتك الشاقة وهو الروح المرحابة التي تعتني بأولئك الباحثين عن السلام في دواخلهم.

يقول مون بأنه كان طالبًا منضبطا في الفنون القتالية وبذلك فقط اكتسب القوة الجسدية والذهنية والروحية الخاصة بالفنون القتالية والتي كانت سببًا في تكوينه. أما رحلته في تزعُّم الرهبان فهي قصةٌ أخرى ولكن الجزء الأعظم من تلك القصة هو إيمانه الراسخ وولاؤه للديانة البوذية وتمامًا مثل الفنون القتالية، فإن السلام الداخلي من أهم ما يجب تتعلمه لتكون بوذيًا.

صلوات وبركات وهدايا تذكارية

حدثنا مومون عن البوذية ومعتقداتها حيث إن أكثر من ٣٠٠

مليون بوذي حول العالم يتطلعون إلى حياة مسالمة ما بعد الموت ولذلك فهم يقضون معظم حياتهم الدنيا في التأمل والأعمال الخيرية واتباع تعاليم معلمهم الأعظم بوذا. فمثل الكاثوليكية فإن الأساس العام هو واحد لدى البوذية أيضًا يتمحور حول أن يكون المرء منصفًا ومؤمنًا وأن تجنب الطرق الملتوية والماكرة لكي يرقى إلى أن يكون إنساناً بما في الكلمة من معنى.

بعد حفلة الشاي علّمنا مومون عن الترنيمات التي تُتلى على المسبحة المكونة من ١٠٨ خرزات وكانت إحدى تلك الترنيمات تسمى بالـ «جونسوم بوسار» و تعني: «الإنصات إلى صوت العالم ثم الرجوع إلى النفس وإلى الله» والتي فاجأتني بأنها قريبة إلى حد ما من الصلوات الكاثوليكية.

وفي الوقت الذي خرجنا فيه في جولة استطلاعية حول المعبد، كان الجو مهيئًا لتجربة روحية على الصعيد الذهني والنفسي مع كل خطوة نخطوها حيث السكون الذي يعم المكان قد تملّكنا ونحن نستنشق الهواء المنعش والبارد الذي يتخلخل أغصان الأشجار العملاقة العتيقة المحيطة بالمكان. بدأ زوار المعبد بالتوافد حول مومون للحصول على تبريكاته وقد شهدنا كيف كانت قداسته تسطع حول الناس، تمطرهم ببركاته وتنشر السكينة والأمان كما لو أن الزمن قد توقف عند تلك اللحظات من القداسة والجلال.

وقبيل مغادرتنا ناول مومون كل واحد منا حلية إسوارة تبدو كهدية تذكارية ولكنه أخبرنا بأنها أكثر من ذلك فهي دليلنا في رحلة الحياة المليئة بالطرق المتشعبة. أما بالنسبة لي فإن تلك الحلية ستكون بوصلة معنوية لي في الحياة وتذكارًا بلقائنا الجميل بالراهب الذي أضاف بُعدًا جديدًا للحياة، مومون الحكيم.

إن ما بدأ في بدايته كنزهة بسيطة تحول لاحقًا إلى رحلة حج روحية، وإنني أدعو الله بأن تجد روحي الطريق الصحيح ولا تحيد عنه أبدًا وأن أعبر إلى وجهتي في الحياة بلا معبر.